



خطب البابا أوربان الثاني يستحدث "المسيحيين" في أوروبا على شن أولى الحملات الصليبية 1097، فقال: "يا شعب الفرنجة! شعب الله المحبوب المختار!... لقد جاءت من تخوم فلسطين، ومن مدينة القسطنطينية، أنباء محزنة تعلن أن جنساً عليناً أبعد ما يكون عن الله، قد طغى وبغى في تلك البلاد بلاد المسيحيين، (... ) وهم يهدمون المذايブ في الكنائس، بعد أن يدنسوها برجسهم، ولقد قطعوا أوصال مملكة اليونان (... ) طهروا قلوبكم من أدران الحقد، واقضوا على ما بينكم من نزاع، واتخذوا طريقكم إلى ضريح المسيح المقدس ربنا ومنقذنا الضريح الذي تمتلكه الآن أمم نجسة وغيره من الأماكن المقدسة التي لوثت ودنسـت..."

اليوم، يقول رئيس وزراء المجر فيكتور أوربان في حوار لصحيفة فرانكفورتر ألجمايـنه تسـايـتونـغ الألمانية إن مشكلة "المهاجرين الذين اجتازـوا المـجرـ أنـ مـعـظـمـهـمـ لـيـسـواـ مـسـيـحـيـنـ بلـ هـمـ مـسـلـمـونـ . وهذا سـؤـالـ مـهـمـ لأنـ أـورـوـبـاـ وـالـثـقـافـةـ الـأـورـوـبـيـةـ لـهـاـ جـذـورـ مـسـيـحـيـةـ . أـلـيـسـ الـمـوـضـوـعـ بـرـمـتـهـ مـثـيـرـ لـلـقـلـقـ لـأـنـ الـثـقـافـةـ الـأـورـوـبـيـةـ الـمـسـيـحـيـةـ بـالـكـادـ قـادـرـةـ عـلـىـ الـحـفـاظـ عـلـىـ الـقـيـمـ الـمـسـيـحـيـةـ لـأـورـوـبـاـ؟ـ"

ليس ثمة فارق كبير في تفكير "الأوربانين" إلا في كون الأول خطيباً بارعاً، فيما الآخر سياسي قد افتقر قليلاً إلى دبلوماسية الساسة الأوروبيين الذين لا يرغبون في صراحة فاقعة كهذه قد تعرقل عمل وكلائهم، حكام المنطقة العربية، في مهمة تدجين شعوبنا!

لدينا نحن مشكلة كبيرة، ربما يمكننا وصفها بـ"الطيبة الزائدة" تارة، أو بـ"شفافية أكبر" "سذاجة بالغة" فيما يتعلق بتعاملنا مع الأوروبيين؛ فيضـلـنـاـ كـثـيـرـاـ بـعـضـ الـمـعـاـمـلـاتـ الـإـنـسـانـيـةـ مـنـ هـذـهـ أـلـيـسـ سـلـوكـاـ جـمـعـيـاـ،ـ وإنـ كـانـ،ـ فـلـاـ يـمـثـلـ غالـبـيـةـ فـيـ مجـتمـعـ،ـ يـنـظـرـ سـاسـتـهـ عـلـىـ الدـوـامـ مـنـ ثـقـبـ بـابـ أـورـبـانـ الثـانـيـ الـذـيـ لـمـ يـزـلـ قـادـرـاـ رـغـمـ وـفـاتـهـ مـنـذـ أـلـفـ سـنـةـ أـوـ قـرـيـباـ مـنـ ذـلـكـ أـنـ يـمـنـعـ الـمـسـلـمـيـنـ مـنـ فـتـحـ مـسـجـدـ آـيـاـ صـوـفـيـاـ الـلـصـلـاـةـ فـيـ الـيـوـمـ!ـ فـأـورـبـانـ الـكـاثـوـلـيـكـيـ حـيـنـ هـبـ لـنـجـدـةـ كـنـيـسـةـ الـقـسـطـنـطـنـيـةـ الـأـرـثـوذـوكـسـيـةـ مـنـ الـمـسـلـمـيـنـ السـلاـجـقـةـ لـمـ يـكـنـ أـتـبـاعـهـ إـلـىـ الـيـوـمـ لـيـرـضـوـنـ هـمـ أـنـ تـظـلـ كـنـيـسـتـهـ خـمـسـمـائـةـ عـامـ مـسـجـداـ!

هـذـاـ الشـعـورـ الـذـيـ أـبـكـيـ هـرـقـلـ ذـاتـ يـوـمـ وـهـوـ يـطـلـ مـنـ فـوـقـ رـبـوـةـ كـاـشـفـةـ لـسـوـرـيـاـ،ـ رـاحـلـاـ قـبـيلـ فـتـحـ أـبـيـ عـبـيـدـةـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ لـهـ

بقليل، وهو يودعها قائلاً: "سلام عليك يا سورية، سلاماً لا اجتماع بعده ولن يدخل إليك رومي إلا خائفاً.." فما زالت أوروبا/هرقل تأنف من سوريتها المسلمين، تستذكر فيهم هزائمها، يوم رحل هرقل عنها، ويوم اندر أوريان بجيشه الصليبية الجرارة (300 ألف صليبي بايعوه حينها على القتال).

أوريان اليوم لا يعزم لحناً نشازاً في أوروبا؛ فإذا كانت المجر لم تخلص بعد من تأثيرات الروس، والحقبة السوفيتية؛ فإن دولاً لم تعرف إلا الرفاه والحرفيات" و"تقديس حقوق الإنسان" تعزف اللحن ذاته؛ فسلوك الصحيفة البريطانية ديلي إكسبريس التي صدرت صفحتها الأولى (2 سبتمبر الحالي) بقصة عن كلبة وصفتها الصحيفة بـ"أكثر كلاب بريطانيا سوءاً للحظ.."، في حين اتهمت آلاف اللاجئين، بإحداث "فوضى" في أوروبا، ليست بداعاً من صحف الغرب ولا ساسته في التعاطي مع أزمة اللاجئين المأساوية في أوروبا، وما بثته الجزيرة مؤخراً تحت عنوان "الصندوق الأسود.. الهجرة السرية" أماط كثيراً لثام "الإنسانية" عن وجه أوروبا في تعاملها مع موجات الهجرة الجماعية التي سببها جرائم بشار الأسد الذي يكافح الاتحاد الأوروبي من أجل بقائه في الحكم بسوريا رغم فاشيته ودمويته التي أفضت إلى أكبر هجرة جماعية إلى أوروبا منذ الحرب العالمية الثانية.

بالعودة إلى مشكلتنا "الطيبة الزائدة أو السذاجة البالغة"، ليس المقصود بها هؤلاء الضحايا الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً، وإنما المقصود كل من يصدق أن أوروبا يمكنها أن تنسى "مسيحيتها"، و"جنورها" تلك التي يتحدث عنها "العلمي" أوريان المجري، ولذا؛ فلم يعد مثيراً للعجب أن تتحدث التقارير عن اضطراب وقع فيه ساسة أوروبا الآن، حين وضعوا أمام استحقاقين متعارضين.. قوانين وتفاهمات وضعت في ظروف لم يحسبوا لها حساباً كافياً لمواجة هجرة جماعية كهذه، وبين "الجنور المسيحية" التي لم يتحدث عنها أوريان المجري وحده، بل يشاطره في هذا رئيس الوزراء السلوفاكي روبرت فيتسو الذي قال إن بلاده ستستقبل 100 مسيحي سوري، إذ إن بلاده - بحسب الناطق باسم الخارجية - "لا يوجد بها مساجد، وبالتالي سيدرك المسلمون صعوبة في التأقلم"!

لا تنص اتفاقية دبلن التي ينافش الغرب تطويرها اليوم على تطبيق معيار "المسيحية" في قبول اللاجئين، لكن وكالة الأنباء الألمانية وصحيفة "فيلت" قد أوردت أخباراً قالت فيها إن "سلوفاكيا وجمهورية التشيك وبولونيا وبلغاريا تطبقها، ولن تقبل لاجئين مسلمين".

كما أن الاتفاقية لا تنص على ضرب اللاجئين مثلما تفعل المجر، ولا أخذ بصمات النساء بالقوة مثلما تفعل شرطة إيطاليا، ولم تطلب من شرطة التشيك أن تكتب على أيدي اللاجئين (كما الحيوانات!) أرقاماً بعد احتجازهم على متن قطار لكنها تفعل، كما لم تجبر الاتفاقية - على جورها - السويد على إعادة لاجئين منها رغم عدم تسجيلهم بدول الاستقبال لكنها فعلت. وما قالت للمجرين والرومان واجهوا اللاجئين بالجيش لكنهم "تطوعوا"!

أوروبا بكل تأكيد، تقاعست عن إنقاذآلاف - لم يتم حصرهم بعد - عن الغرق، ثم لم تحسن من بعد وفادة لاجئين اتهمتهم بأنهم "غير شرعيين" كمثل ذلك الطفل البرئ الذي قطع نيات قلوبنا بمشهد موته المبكي (الذي أحجمت وسائل إعلام غربية عديدة عن نشر صوره كاملاً "حافظاً على مشاعر مشاهديها" على حد زيفها).

أأنت نسيت؟ لكن أوروبا لم تنس يوماً، إلى هاهنا خرجنا، وهناك انهزمنا، وأعادنا صلاح الدين نجر أذىال الخيبة، وحين عادوا داس قائد الجيوش الفرنسية الجنرال هنري غورو على قبر صلاح الدين بعد يوم من معركة ميلسون وسقوط دمشق (1920) قائلاً: "ها نحن عدنا يا صلاح الدين"، وحين استتب لهم الأمر في بلاد الشام، شرعوا بتمكين طائفة النصيرية شيئاً فشيئاً حتى دانت لهم سوريا، حؤلاً بينها والعودة إلى سايق مجدها، قاهرة لحملات الصليب.

لم تنس أوروبا، لذا تحمل كل شيء ولا أن ترى سوريا تعود لصلاح الدين، وصلاح الدين يعود إليها، ولو كانت تدفع لذلك ثمناً باهظاً من استقبال مهين لمئات الآلاف من اللاجئين جاءوها رغمًا عن إرادتها، وها هي تسعى لتقليل آثار هذه "الغوضى" على حد تعبير صحفها الآثمة، بالتوزيع والإبعاد، ثم من يدري كيف سيكون فريق من اللاجئين ضحايا أكبر بالتنصير تارة لأطفال أيتام (عرض موقع المفوضية السامية لشؤون اللاجئين مقطعاً صغيراً لقس يوناني يدعى ستاريس يقدم مساعدة للاجئين مشفوعة بـ"موعظة دينية")، أو تجارة بشر في بعض البلدان الشرقية، أو حتى تجارة أعضاء إن تيسر الأمر.. ولا مبالغة؛ فما البلقان عنا ببعيد.

وإذا كانت أوروبا لم تنس؛ فإن علينا أن نتذكر دوماً، على اللاجئين أنفسهم أن يتذكروا بعد استقرارهم أن عليهم دوراً يتوجب أن يفعلوه، ورسالة يتعين أن يحملوها.. "والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون".

المسلم

المصادر: